



مجلة إدارة الأعمال والدراسات الاقتصادية



موقع المجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/313/

ترشيد الاستهلاك في الفكر الاقتصادي الإسلامي: دراسة تحليلية من منظور قرآني

Consumption Rationalization in Islamic Economic Thought: An Analytical Study from a Quranic Perspective

موسى زيتوني، ^{1*} m.zitouni@univ-alger.dz

نورالدين حمادي، ² Nouredine Hammadi hamadi_17@yahoo.fr

¹ طالب دكتوراه، مخبر الشريعة، جامعة الجزائر 1 (بن يوسف بن خدة) كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

² أستاذ التعليم العالي، جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

تاريخ القبول: 2025/09/20

تاريخ النشر: 2025/12/02

ملخص	الكلمات المفتاحية
تهدف هذه الدراسة إلى تحليل منهج القرآن الكريم في ترشيد الاستهلاك من منظور اقتصادي، من خلال دراسة المفاهيم والأسس والوسائل القرآنية، وقد انطلقت الدراسة من العلاقة بين الإنفاق والاستهلاك، مستعرضاً الأسس القرآنية كالوسطية، والاعتدال، ومراعاة الحاجة، مع التأكيد على تحريم الإسراف والتبذير، كما تناولت الدراسة الوسائل العملية التي رسّخ بها القرآن هذه المبادئ، وعرض مظاهر الاستهلاك السلبي وآثاره على الموارد والتنمية، في المقابل، أبرزت الدراسة دور الاستهلاك الإيجابي في تحقيق الكفاءة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة، وخلصت الدراسة إلى أن القرآن يقدم منهجاً متكاملًا يوازن بين تلبية الحاجات وتحقيق المصالح العامة.	القرآن الكريم، ترشيد الاستهلاك، الاقتصاد الإسلامي، التنمية الاقتصادية.

تصنيف JEL: Q56؛ P48؛ A13؛ D12

Abstract	Keywords
This study aims to analyze the Qur'anic approach to consumption rationalization from an economic perspective, by exploring its core concepts, principles, and mechanisms. The research begins by outlining the relationship between spending and consumption, followed by an examination of key Qur'anic principles like moderation, balance, and considering real needs, while emphasizing the prohibition of wastefulness. It then discusses the practical tools used by the Qur'an to embed these values in individuals and communities. The study contrasts the negative impacts of excessive consumption on resources and development with the positive effects of rational consumption on economic efficiency, social justice, and sustainable development. Ultimately, the research concludes that the Qur'an provides a comprehensive framework that balances individual needs with collective interests.	Qur'an, Consumption Rationalization, Islamic Economics, Economic Development

JEL Classification Codes : D12;A13;P48;Q56

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل: m.zitouni@univ-alger.dz

1. مقدمة:

يُعتبر الاستهلاك في العصر الحديث، بما يحمله من أبعاد اقتصادية واجتماعية ونفسية، قضية محورية تفرض نفسها على كافة الأصعدة الفردية والجماعية، فلم يعد مجرد عملية تلبية لحاجات أساسية، بل تحول إلى سلوك معقد تتداخل فيه دوافع الرغبة، والتأثر بالبيئة، وضغوط الثقافة الاستهلاكية، مما يجعله انعكاساً عميقاً لمنظومة القيم السائدة، إن هذا السلوك، الذي يمس جوهر الحياة اليومية، ينعكس بشكل مباشر على استدامة الموارد، ويؤثر في توازن النظم البيئية، ويحدد ملامح التوزيع العادل للثروات، وفي خضم هذه التعقيدات، يأتي المنهج القرآني ليقدم إطاراً فكرياً متكاملًا يضبط السلوك الاستهلاكي، ويضعه ضمن سياق أخلاقي وحضاري أوسع، فالقرآن، بما يحتويه من آيات بينات، لا يكتفي بوضع حدود مالية للاستهلاك، بل يغرس في نفس الإنسان فلسفة تقوم على الوسطية والاعتدال، وهذه الفلسفة تتجاوز مجرد تجنب الإسراف والتبذير، لتكون منهجاً للحياة بأكملها، يربط بين تلبية الحاجات المادية وبين المسؤولية تجاه الذات، والأسرة، والمجتمع، بل والكون بأسره.

إن مفهوم ترشيد الاستهلاك في المنظور القرآني لا يمكن اختزاله في مجرد إجراءات اقتصادية لخفض الإنفاق، بل هو منظومة متكاملة من القيم التي تهدف إلى تحقيق التوازن بين متطلبات الإنسان المادية والروحية، فالقرآن يربط بين نعم الله التي أسبغها على عباده وبين شكرها، والشكر لا يكون بالقول فحسب، بل بحسن التصرف في هذه النعم، واستخدامها في ما يرضي الله ويخدم الصالح العام، وهذا الربط بين النعمة والمسؤولية يشيب أن الاستهلاك الرشيد هو أداة للبناء والتنمية، لا وسيلة للهدر والإفساد، وهذا المنهج القرآني يضع حجر الأساس لمواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة في الإسراف المفرط، والاستنزاف غير المسؤول للموارد الطبيعية، فعلى النقيض من النظم الاستهلاكية التي تحرص على الشراء لأجل الشراء، يقدم القرآن بديلاً حضارياً يركز على الكيف لا الكم، وعلى الجودة لا التباهي، إنه يربط الاستهلاك بالغاية الأخلاقية، فيدعو إلى الإنفاق في سبيل الله، ومساعدة المحتاجين، وتنمية المجتمع، بدلاً من إهدار الثروات فيما لا فائدة منه.

من هنا، تبرز أهمية دراسة المنهج القرآني في ترشيد الاستهلاك كإطار معرفي عميق، ليس فقط للمسلمين، بل للإنسانية جمعاء، إن هي قدم نموذجاً فكرياً قادراً على إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان وموارده، ويؤسس لثقافة استهلاكية مستدامة تقوم على الاعتدال، والتراحم، والوعي بالمسؤولية، وهذه الدراسة تسهم في إلقاء الضوء على حلول جذرية للتحديات الاقتصادية والبيئية الراهنة، وتفتح آفاقاً جديدةً نحو بناء مجتمعات أكثر توازناً وعدلاً، واستدامة.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المنهج القرآني المتكامل في ضبط السلوك الاستهلاكي، وذلك من خلال توضيح المبادئ والقيم التي أرساها القرآن الكريم لتحقيق الاعتدال والتوازن، كما تسعى إلى استخلاص القواعد القرآنية التي تمنع من الوقوع في الإفراط المؤدي إلى التبذير، أو التفريط الذي يقود إلى الشح، إضافةً إلى ذلك، تركز الدراسة على إبراز البعد الأخلاقي والاجتماعي لترشيد الاستهلاك، وتوضح كيف يسهم في تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع وحفظ موارده، وتتناول أيضاً الأثر الاقتصادي لهذه التوجيهات، وكيف يمكن لها أن تكون إطاراً للتنمية المستدامة، مع ربطها بالواقع المعاصر لمعالجة تحديات الإسراف والهدر.

إشكالية الدراسة:

في عصرنا الراهن، حيث تتسارع وتيرة التطور التكنولوجي وتتزايد أساليب التسويق والإغراء، لم يعد الاستهلاك مجرد عملية تلبية للحاجات الأساسية، بل تحول إلى سلوك معقد تتداخل فيه الدوافع النفسية والاجتماعية، مما أدى إلى ظهور

نمط استهلاكي يتسم بالإفراط والإسراف، وهذا الانحراف عن مساره الصحيح، المبني على الاعتدال والترشيد، لم يقتصر تأثيره على هدر الموارد الفردية فحسب، بل امتد ليؤثر سلبيًا على التوازن الاقتصادي والاجتماعي، فالتبذير، الذي هو نتيجة حتمية للإسراف، يؤدي إلى استنزاف الثروات، ويُعمّق الفجوة بين طبقات المجتمع، ويُضعف القدرة على تحقيق التنمية المستدامة، هذه المشكلة، التي تتفاقم في ظل غياب الوعي الكافي بآثارها، تستدعي البحث عن منهج فكري وأخلاقي قادر على إعادة توجيه هذا السلوك نحو مساره الصحيح.

وفي ظل هذه الإشكالية، يبرز المنهج القرآني كإطار مرجعي فريد، فهو لا يعالج قضية الاستهلاك من منظور اقتصادي محض، بل يدمجها في منظومة قيمية متكاملة تتجاوز حدود الربح والخسارة المادية، فالقرآن يضع ضوابط دقيقة للسلوك الاستهلاكي، تربط بين نعم الله على الإنسان وبين مسؤوليته في استخدامها بوعي واعتدال، وهذا المنهج يهدف إلى تحقيق توازن دقيق بين إشباع حاجات الإنسان الفردية وتحقيق الصالح العام، مما يمنع من الوقوع في فخ الإسراف الذي يؤدي إلى الهدر، ويحذر في الوقت ذاته من الشح الذي يقود إلى التعتيل والتقصير، ومن هنا، يصبح السؤال الأساسي هو كيفية الاستفادة من هذه التوجيهات القرآنية في معالجة تحديات الاقتصاد المعاصرة، وكيف يمكن لهذه الرؤية أن تساهم في تحقيق تنمية مستدامة تحافظ على الموارد، وتضمن العدالة الاجتماعية للأجيال الحالية والمستقبلية، وانطلاقاً من هنا يبرز السؤال الرئيسي للدراسة:

كيف يساهم المنهج القرآني في ترشيد الاستهلاك، وما هي الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على تطبيقه في سياق التنمية المستدامة؟، وهذا السؤال يقود إلى طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما المفاهيم الأساسية للاستهلاك والإنفاق في القرآن الكريم؟
- ما الأسس والوسائل القرآنية لترشيد الاستهلاك؟
- ما أبرز مظاهر وآثار الاستهلاك السلبي اقتصاديًا واجتماعيًا؟
- كيف يساهم الاستهلاك الرشيد في تحقيق الكفاءة الاقتصادية والتنمية المستدامة؟

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة في مقاربتها لموضوع الاستهلاك على منهجية بحثية مركبة ومتكاملة، لا تكتفي بجانب واحد من التحليل، بل تجمع بين عدة مناهج لتغطية الموضوع من كافة جوانبه. يأتي في مقدمة هذه المناهج **المنهج الاستنباطي** الذي يشكل ركيزة أساسية في استقراء الآيات القرآنية التي تتناول قضايا الإنفاق، والاعتدال، والتبذير، والشح، فمن خلال الغوص في نصوص القرآن الكريم، تمكنت الدراسة من استخلاص المبادئ والضوابط التي وضعها القرآن لترشيد السلوك الاستهلاكي، وهي مبادئ تتجاوز الحدود المادية لتشمل أبعاداً أخلاقية واجتماعية عميقة، هذا المنهج أتاح للبحث استخلاص رؤية كلية وشاملة لمفهوم الاستهلاك في المنظور الإسلامي، بعيداً عن أي تأويلات جزئية.

ولضمان عمق التحليل، تم المزج بين المنهج الاستنباطي **والمنهج التحليلي**، فقد أتاححت هذه الخطوة ربط المفاهيم القرآنية المستخلصة بالمفاهيم الاقتصادية المعاصرة، فبدلاً من الاكتفاء بسرد الضوابط القرآنية، عملت الدراسة على تحليل كيف يمكن لهذه الضوابط أن تخدم أهدافاً اقتصادية مثل التنمية المستدامة، وحفظ الموارد، وتحقيق العدالة في توزيع الثروات، وهذا الربط التحليلي أظهر مدى حكمة الرؤية القرآنية وقدرتها على تقديم حلول عملية لمشكلات اقتصادية معقدة تواجه العالم اليوم. كما ساعد في إبراز الجوانب التطبيقية للمنهج القرآني، مما يجعله ليس مجرد إطار نظري، بل نموذجاً يمكن تطبيقه في الواقع.

وفي سبيل فهم المشكلة من منظور عملي، تم توظيف **المنهج الوصفي** الذي يعنى بوصف وتحليل واقع الاستهلاك في العصر الحاضر، وقد تم ذلك من خلال رصد مظاهر الإسراف والتبذير، وأنماط الاستهلاك غير الرشيدة التي تعاني منها

المجتمعات اليوم. هذا المنهج الوصفي كان بمثابة حلقة وصل بين الإطار النظري المستمد من القرآن وبين الواقع الفعلي، حيث تم قياس مظاهر الاستهلاك المعاصرة على التوجيه القرآني، مما أتاح تحديد الفجوة بين ما يجب أن يكون وما هو كائن، وبهذا التفاعل بين المناهج الثلاثة، أصبحت الدراسة قادرة على تقديم رؤية شاملة، تجمع بين عمق النص القرآني، ودقة التحليل الاقتصادي، وواقعية الوصف، مما يضمن تقديم نتائج دقيقة وموثوقة.

الدراسات السابقة

- دراسة بعنوان الدراسة "ترشيد الاستهلاك وأثره في التنمية: دراسة قرآنية موضوعية"، مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية (عايد، 2024)، 2024، واعتمد المنهج الاستقرائي الموضوعي بجمع الآيات وتحليلها وربطها بالتنمية. وما يلاحظ على الدراسة أنه الدراسة ركزت على الجانب التنموي، ولم تتناول البعد الاقتصادي التحليلي أو السلوكي للمستهلك.

- دراسة أخرى بعنوان الدراسة "الإسراف في ضوء القرآن الكريم: دراسة قرآنية موضوعية"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية 2011، واعتمد المنهج اللغوي التحليلي باستقراء ألفاظ الإسراف وصوره في القرآن. وما يلاحظ على الدراسة أنه اقتصر على بيان مفهوم الإسراف وعواقبه (محمود، 2011)، دون تقديم تصور شامل للترشيد أو آثاره الاقتصادية.

- دراسة عنوانها "الإسراف والتبذير في القرآن الكريم والسنة النبوية"، مجلة البحوث الإسلامية، 2018 (عبدالله، 2018)، واعتمد المنهج الوصفي التحليلي بجمع النصوص وبيان الفروق بين الإسراف والتبذير. وما يلاحظ على الدراسة أنه لم يعرض انعكاس الترشيح على التنمية أو على سلوك المستهلك.

- دراسة أخرى تحمل عنوان "ترشيد الاستهلاك وأثره في حفظ المقاصد الضرورية: دراسة مقاصدية تطبيقية 2024. واعتمدت المنهج المقاصدي التطبيقي (الحكيم، 2024) حيث ربط الترشيح بحفظ الضروريات (الدين، النفس، المال). وما يلاحظ على الدراسة أنه لم يُعالج كيفية تنزيل الترشيح على الواقع الاقتصادي الاستهلاكي المعاصر.

- دراسة أخرى جات موسومة بـ "ترشيد الاستهلاك في الإسلام"، واعتمد المنهج الوصفي التأسيلي، حيث عرض القواعد الشرعية للترشيح ومجالاته، وما يلاحظ على الدراسة أنه لم يقدم معالجة تحليلية اقتصادية عميقة، بل اقتصر على العرض العام (القيسي، 2008).

- وهناك أيضا دراسة بعنوان "الاستهلاك الاقتصادي في القرآن الكريم" (مصطفى، 2006)، واعتمد المنهج التحليلي التأسيلي في ضوء آيات الاستهلاك، وما يلاحظ على الدراسة أنه لم يتناول الأبعاد السلوكية والنفسية للمستهلك، ولم يعالج تحديات الواقع الاستهلاكي المعاصر.

وتأتي هذه الدراسة تنمة لهذه الجهود السابقة، فهي تعتمد على منهج تحليلي اقتصادي يربط النصوص القرآنية بالواقع الاقتصادي المعاصر، ويجمع بين الأبعاد القرآنية والمقاصدية والاقتصادية في إطار واحد متكامل، ويتجاوز الطابع التأسيلي إلى تقديم تصور تطبيقي يبرز دور المنهج القرآني في معالجة التحديات الاستهلاكية الراهنة، وبذلك يُسدّ الفجوات البحثية السابقة، ويضيف بعداً جديداً يجعل البحث أكثر شمولاً وواقعية

II. الإطار المفاهيمي للدراسة:

أ. التعريف بالمفردات:

- أولاً: الترشيح: الرأ والشين والذال أصل واحد يدل على استقامة الطريق

أرشد الله وأرشدته إلى الأمر ورشده: هدا، وترشده أي طلب منه الرشد. ويقال ترشد فلان لأمره إذا اهتدى له. بناء عليه فإن مدلول الترشيح اللغوي يشير إلى معنى الاستقامة التي تقضي الوصول إلى الغايات والأهداف بالوسائل المناسبة لذلك (منظور، 1998).

- **ثانياً: الاستهلاك لغة:** مصدر استهلك في كذا جهد نفسه فيه، والمال ونحوه أنفقه وأهلكه، ويقال استهلك ما عنده من طعام أو متاع. (لسان العرب مادة "هلك")

- **اصطلاحاً:** الاستخدام المباشر للسلع والخدمات التي تشبع رغبات الإنسان وحاجاته (حربي، 2004).

- **ثالثاً: تعريف ترشيح الاستهلاك كمركب إضافي:** هو الاستخدام الأمثل وسد الحاجات، والتوازن والاعتدال في الإنفاق، والاستقامة في تحقيق مصلحة الإنسان، وعدم البغي أو الشطط، والاستقامة على الحق والهداية إلى طريق الرشد والخير (الصالح (القيسي، 2008)، هناك من عرف ترشيح الاستهلاك بأنه: مجموعة من المفاهيم العقدية والأخلاقية والسلوكية التي تجعل سلوك المستهلك واعياً ومنضبطاً بها.

ب. **العلاقة بين الإنفاق والاستهلاك في القرآن الكريم والأثر المترتب على تقسيم الإنفاق:**

- **أولاً: العلاقة بين الاستهلاك والإنفاق في القرآن الكريم:** لم يصرح القرآن الكريم بلفظ "الاستهلاك" بصيغته المعروف بها كمصطلح في الاقتصاد، وإنما ذكر مصطلح الإنفاق الذي هو: ما يتوقف عليه بقاء شيء، من المأكل والملبوس والسكنى (نزيه، 1995). وهو بهذا المعنى يشمل ما هو موجود، وقد يكون الإنفاق لإيجاد شيء، فيعرف الإنفاق بهذا المعنى: الإدرار المادي على الشيء، بما يحصل به بقاءه أو وجوده، من أجل تحقيق منفعة عامة أو خاصة (عامر، 2010).

الإنفاق في القرآن الكريم يجمع بين الجانبين المادي والروحي، يجمع بين الدنيا والآخرة، فهو يدعوا الإنسان لإعمار الأرض واستغلال خيراتها، واستثمارها بما يعود عليه بالنفع "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآلَهُمْ صَالِحٌ ۖ قَالُوا يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ" (القرآن الكريم، هود: 61).

لكن هذا الاستغلال والاستثمار منوط بشرط عدم الركون إليها ونسيان الآخرة "إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (القرآن الكريم، يونس: 7-8).

والمسلم يعتقد أن المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، والله ينظر إليه ويحاسبه عنه من جهة الاكتساب ومن جهة الإنفاق، قال صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدما ابن آدم، يوم القيام، من عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فِيمَ أَفْنَاهُ، وعن شبابه فِيمَ أَبْلَاهُ، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم" (أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة - باب في القيامة رقم 2416 وقال: حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الترمذي 289).

- **ثانياً: أنواع الإنفاق في القرآن الكريم:** الإنفاق في القرآن الكريم تعتربه الأحكام التكليفية الأصولية الخمسة، فيكون الإنفاق في القرآن الكريم على النحو التالي:

- **الإنفاق الواجب:** وهو الإنفاق المأمور به، كوجوب إخراج الزكاة، "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّاكِعِينَ" (القرآن الكريم، البقرة: 43)، ووجوب النفقة على الزوجة "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (القرآن الكريم، البقرة: 233).

"لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا" (القرآن الكريم، الطلاق: 07). والكفارات المالية "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّن عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (القرآن الكريم، البقرة: 89)،

فهذا النوع من الإنفاق لا يشمل موضوع الدراسة؛ لأن المكلف يلتزم به كما ونوعاً؛ ولما له من تعلق بحق الغير، والرشاد فيه هو الامتنال والإذعان لما جاءت به النصوص.

- **الإنفاق المستحب:** وهو الإنفاق المرغوب فيه لتحقيق الأجر والثواب، مثل التبرعات من الوقف والهبة والهدايا "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (القرآن الكريم، الحشر: 09)، وهذا النوع من الاستهلاك يعزز القيم الاجتماعية وروح التعاون، ويبعد الفرد عن الأنانية ويعمل على نشر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع.

- **الإنفاق المباح:** وهو الإنفاق الذي لا يؤثر عليه ولا ياتم بتركه، كالنفقة على المأكل والملبس والمشرب بشرط ألا يتجاوز الحد، وميزات هذا النوع من الاتفاق هو الاعتدال والتوسط "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (القرآن الكريم، الأعراف: 31).

- **الإنفاق المكروه:** وهو الإنفاق في غير موضعه المناسب، أو مجاوزة الحد، كالتوسع في النفقة لدرجة ضياع المال "بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ" (القرآن الكريم، الأنعام: 141).

- **الإنفاق المحرم:** وهو الإنفاق على المحرمات، شراء الخمر، أو دعم الفساد، أو التفاخر والبذخ، ومنه الترف والبطر "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" (القرآن الكريم، الإسراء: 27)، سيأتي تفصيله في بحث الاستهلاك السلبي مظاهره وآثاره.

- **ثالثاً: أثر تقسيم الإنفاق في ترشيد الاستهلاك:** إن تقسيم الإنفاق إلى هذه الأنواع الخمسة يمثل مقارنة تشريعية دقيقة بترشيد السلوك المالي للفرد والمجتمع ويجعل الإنفاق منسجماً مع مقاصد الشريعة ومتطلبات التنمية، فلا يتحرك المستهلك لميوله أو بعوامل السوق وحدها، بل يوجه بما يضمن مصلحته الدنيوية والأخروية، ويحذره من الاستهلاك السلبي وما يترتب عليه من آثار تفقد حياة الفرد والمجتمع.

1. الأسس والوسائل القرآنية لترشيد الاستهلاك:

أ. الأسس القرآنية لترشيد الاستهلاك:

- أولاً: الأسس العقدي

يقوم على مبدأ الاستخلاف؛ فالإنسان مستخلف في المال وليس مالِكًا مطلقاً، قال تعالى: "وَأَنْتُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ" [سورة النور الآية 33]. كما يقوم على الرقابة الإيمانية، إذ يعلم المسلم أن الله مطلع على تصرفاته: "وَأِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" (القرآن الكريم، البقرة: 284). هذا البعد العقدي يجعل الاستهلاك سلوكاً منضبطاً بالشرع لا يخضع فقط للأهواء والرغبات (الزحيلي، 1997).

- ثانياً: الأسس الاقتصادية

يتمثل في مبدأ الوسطية والاعتدال، بعيداً عن الذي جاء به القرآن في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (القرآن الكريم، الفرقان: 67). فالإقتصاد الإسلامي يرفض الإسراف والتبذير، لما فيه من إفساد للموارد وإعاقة التنمية: "وَلَا تُبْذَرُ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ" (القرآن الكريم، الإسراء: 27)، وهذا الأساس يجعل الاستهلاك متوازناً يساهم في تحقيق الكفاءة الاقتصادية وحفظ الموارد (الخمار، 2012).

- ثالثاً: الأسس الاجتماعية

القرآن يربط الاستهلاك بالبعد الاجتماعي، حيث لا ينظر إليه كفعل فردي فقط، بل كتصرف يترك أثراً على الجماعة. فقد أمر القرآن بالإتفاق في سبيل التكافل: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" [سورة الذاريات الآية 19]. كما شدد على مراعاة حقوق الآخرين في الإتفاق وتجنب الأنانية. فالأساس الاجتماعي لترشيد الاستهلاك يجعل الموارد وسيلة لتقوية وأاصر المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية (الطاهر، 1984).

بهذا الشكل نكون قد ضبطنا الأسس الكبرى: العقدي يضبط علاقة الفرد بربه، الاقتصادي يضبط علاقة الفرد بالموارد، الاجتماعي يضبط علاقة الفرد بالمجتمع.

ب. وسائل ترشيد الاستهلاك:

اعتمد القرآن الكريم مجموعة من الوسائل، ولكن قبل الإشارة إليها يجدر التنبيه إلى الفرق بين الأسس والوسائل

4. الفرق بين الأسس والوسائل:

الأسس: هي المرتكزات والمقومات التي يبنى عليها منهج القرآن في ترشيد الاستهلاك، كالتوحيد، والاعتدال، والجزاء الأخروي.

الوسائل: هي الأدوات والآليات التي يستخدمها المنهج القرآني، والإجراءات التي شرعها الله لتحقيق تلك الأسس في الواقع العملي (عمارة، 2001)، وقد تنوع الخطاب القرآني في معالجته لظاهرتي الاستهلاك بيانه كما يلي:

- أولاً: الخطاب القرآني الموجه للعقل: الذي يدعو إلى التدبر والتفكير في نعم الله، وشكرها ويحذرهم التبذير، ويبين له جزاء المبذرين، (الواقعية).

- ثانياً: الترغيب والترهيب:

الترغيب: وذلك بذكر الجزاء والثواب الذي يحصله المستهلك الرشيد، والمنفق في سبيل الله، "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (القرآن الكريم، البقرة: 261)، والترهيب: وذلك بالوعيد الشديد والتحذير من مخالفة هدي القرآن الكريم والسلوك الرشيد في الاستهلاك، ومن ذلك التحذير من الإسراف والتبذير "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" (القرآن الكريم، الإسراء: 27).

- ثالثاً: استخدام الأسلوب القصصي: يعتمد القرآن الأسلوب القصصي لأخذ العبرة والالتزام بالاستهلاك الرشيد، "فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ" (القرآن الكريم، القصص: 181).

من خلال هذا نستنتج أسلوب القرآن في توجيه العقل للفهم، كما يساهم في تشكيل وعي استهلاكي رشيد، وينتج عنه أثر سلوكي معتدل، وإذا كانت الأسس العقدية والاقتصادية والاجتماعية تضع الإطار العام لسلوك المستهلك المسلم، فإن القرآن الكريم قدّم مجموعة من الوسائل العملية لترسيخ هذا السلوك وضبطه، وما يميز هاته الوسائل أنها ليست توجيهات نظرية، بل توجيهات تخاطب الفطرة والعقل، فهو يقدم لنا حلول صالحة لكل زمان ومكان ومن أبرزها:

5. التقوى والرقابة الذاتية:

القرآن يربط ترشيد الاستهلاك بتقوى الله، فالرقابة الداخلية أقوى من الرقابة الخارجية. قال تعالى:

"وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (القرآن الكريم، البقرة: 203).

المؤمن يعلم أن الله يراقبه، ويحاسبه عن أعماله، فينضبط سلوكه الاستهلاكي، فيستسلم لله رب العالمين يمتثل ما أمره الله به، ويجتنب الإسراف والتبذير لأنه يعلم أن الله لا يحب المسرفين.

- التوجيه التربوي من خلال الأمر بالاعتدال والنهي عن الإسراف: القرآن اعتمد التوجيه المباشر إلى الاعتدال "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (القرآن الكريم، الأعراف: 31)، وهذا الخطاب التربوي يزرع في نفس المسلم عادات استهلاكية متوازنة، ويحميه من الانحراف نحو التبذير أو التقترير (بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3 ص 421).
- الوسيلة التشريعية (تحريم التبذير والإسراف): القرآن لم يكتفِ بالتوجيه، بل اعتبر المبدزين من "إخوان الشياطين" (القرآن الكريم، الإسراء: 27)، وهي صيغة تجريم تشريعي تجعل التبذير محرماً شرعاً، فيرتقي من كونه سلوكاً غير محمود إلى كونه معصية (محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، 2007).
- الوسيلة الاجتماعية (إرساء مبدأ التكافل): ترشيد الاستهلاك ليس مجرد ضبط فردي، بل يرتبط بإيجاد توازن اجتماعي. قال تعالى: "وَأَتِ دَا الْقُرَيْ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا" (القرآن الكريم، الإسراء: 26)، فالقرآن ربط بين الإنفاق المشروع والبعد الاجتماعي، أي أن الإنفاق ينبغي أن يراعي حاجات الآخرين (الطاهر، 1984).
- الوسيلة الأخلاقية (غرس خلق القناعة): القناعة من الوسائل القرآنية التي تحدّ من الإفراط في الاستهلاك، حيث يدعو القرآن إلى الرضا بما قسم الله: "كَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" (القرآن الكريم، الحديد: 23)، فالمستهلك القنوع لا يستقرّ برغبات السوق، ولا ينجّر وراء ثقافة الاستهلاك المفرط، والوسائل القرآنية لترشيد الاستهلاك تتمثل في:
 - تقوية الرقابة الذاتية (إيمانية).
 - التربية على الاعتدال (تربوية).
 - التحريم الصريح للتبذير (تشريعية).
 - ربط الاستهلاك بالتكافل (اجتماعية).
 - غرس القناعة والرضا (أخلاقية).
- 6. مظاهر وآثار الاستهلاك السلبي:
 - أ. مظاهر الاستهلاك السلبي:
 - أولاً: مفهوم الاستهلاك السلبي: هو الخروج عن الاعتدال، والابتعاد عن التوجيه الرباني في مسألة الإنفاق.
 - ثانياً: مظاهر الاستهلاك السلبي: الانحراف عن الاستهلاك الرشيد يكون بالإمساك وهو في صورتين: القتر والشح، وبمجاورة الحد، وهو في أربع صور: الإسراف، التبذير، الترف، البطر، تفصيلها فيما يلي:
 - القتر: لغة: القتر والتقتير: الرمق من العيش، وأقتر: ضيق في النفقة، (وأقتر الرجل: افتقر) (محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، 2013).
 - القتر اصطلاحاً: القتر تقليل النفقة. الراغب الأصفهاني (محمد، 1992).
 - والقتر: البخيل الممسك ابن الجوزي (علي، 2001)، وفي التقدير معنى الشح والبخل والتضييق في النفقة وهي صفات ذمها القرآن الكريم "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (القرآن الكريم، الفرقان: 67)، "قُلْ لَوْ أَنَّنْكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا" (القرآن الكريم، الإسراء: 100).
 - أما مجاوزة الحد فهو كما يلي:
 - الإسراف: لغة: هو مجاوزة الحد في الشيء، وهو ما جاوز القصد منه، والسرف في اللغة أيضاً يعني التعب والجهل والخطأ والغفلة (الفيومي، 1987).
 - الإسراف اصطلاحاً: تجاوز الحد في الأفعال كلها، ومنها الإنفاق (عامر، 2010).

وللإسراف ثلاثة أوجه: إسراف في الخير: وهو المبالغة في الإنفاق، وهذا مرغّب فيه، ولكن بشرط أن لا يكون سببا في تضییع الحقوق الواجبة، وتقویت ما هو أهم من الحقوق المرتبطة بالمال، بينما إسراف في الشر: هو ممنوع حذر منه الشرع، اما إسراف في المباح: هو المبالغة في الإنفاق على المباح، كالإنفاق على ملاذ النفس واتباع الشهوات وهو الممنوع، - **التبذير: لغة:** التبذير في اللغة لم يأت إلا بمعنى بذر، فيقال بذر ماله: أفسده وأنفقّه في السرف، وكل ما فرقته وأفسدته فقد بذرته. (اللسان العربي، مادة بذر).

- **التبذير في الاصطلاح:** التفريق وأصله البذر وطرحه، فاستعير لكل مضيع لماله (الإصفهاني، 2009). والفرق بين الإسراف والتبذير، أن الإسراف: تجاوز الحد في صرف المال، والتبذير: إتلاف المال وإنفاقه في غير موضعه، فهو بهذا أشدّ قبحا من الإسراف "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" (القرين الكريم، الإسراء: 27)، وأشدّ من الإسراف والتبذير الترف، **والترف:** وهو التمتع بالدنيا لدرجة نسيان الآخرة، وهو سبب هلاك الأفراد والجماعات في الدنيا: "وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ" (القرآن الكريم، الأنبياء: 11، 12، 13)، واستحقاق العذاب في الآخرة.

- **البط:** وهو الطغيان ومجاوزة الحد، قال ابن عاشور: والبطر: استعمال النعمة في الشر لا في الخير (الطاهر، 1984)، في الفسوق لا في الطاعة "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" (القرين الكريم، الأنفال: 47).

ب. آثار الاستهلاك السلبي:

- **أولا: الآثار الاقتصادية:** إن الآثار الاقتصادية للاستهلاك السلبي لا تقف عند حدود الأفراد، بل تنعكس على الاقتصاد الوطني من خلال: هدر الموارد، التضخم، ضعف الادخار، وتراجع الإنتاج، وهي عوامل تضعف التنمية وتعيق استدامتها (الطريفي، 2009).

- **هدر الموارد والثروات:** الاستهلاك المفرط يؤدي إلى استنزاف الموارد الطبيعية والبشرية، دون مراعاة لمبدأ الوسطية الذي دعا إليه القرآن الكريم. فالإسراف في الطعام والشراب أوفي الطاقة مثلاً يؤدي إلى تراجع المخزون الاستراتيجي للدولة. قال تعالى: "وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (القرآن الكريم، الأعراف: 31)، والإسراف الاستهلاكي يضعف قدرة المجتمع على توجيه موارده نحو الاستثمار المنتج، ويزيد من التبعية للخارج (المنيع، 1996).

- **التضخم المالي وارتفاع الأسعار:** الاستهلاك السلبي يؤدي إلى زيادة الطلب غير الحقيقي على السلع، ما يرفع أسعارها فوق المستوى الطبيعي ويؤدي إلى التضخم. وهذا يضر بالقوة الشرائية للمجتمع ويضعف استقرار الاقتصاد، و"النزعة الاستهلاكية المفرطة تخلق فجوة بين العرض والطلب.

- **ضعف الادخار وقلة الاستثمار:** حين ينصرف الأفراد إلى إنفاق دخولهم على الاستهلاك الكمالي، يقل ما يتبقى للادخار، وبالتالي يتراجع حجم الاستثمارات التي يعتمد عليها النمو الاقتصادي. و"الادخار قوة اقتصادية كبرى، والإسراف يضعف هذه القوة ويحرم الأمة من مصدر تمويل داخلي للتنمية (حسان، 2012).

- **قلة الإنتاج:** الاستهلاك السلبي إذا لم يقابله إنتاج مماثل يؤدي إلى خلل اقتصادي خطير، حيث يزداد الاعتماد على الواردات بدلاً من تشجيع الإنتاج المحلي. و"الميل العالي للاستهلاك على حساب الإنتاج يشكل عائقاً أمام التنمية الاقتصادية ويزيد من العجز التجاري" (المنيع، 1996).

- ثانياً: الآثار الاجتماعية:

- الاستهلاك السلبي لا يقتصر على إضعاف موارد الأفراد أو استنزاف دخلهم، بل يتعدى ذلك ليؤثر بعمق في العلاقات الاجتماعية وبنية المجتمع، ومن أبرز هذه الآثار (البكري، 1998):
- إحداث فجوة بين فئات المجتمع: عندما ينصرف البعض إلى شراء الكماليات والمظاهر الباذخة، بينما تعجز فئات أخرى عن تلبية احتياجاتها الأساسية، ينشأ شعور بالظلم وعدم المساواة، فيزداد التوتر بين الطبقات الاجتماعية.
 - إضعاف الروابط الأسرية: انشغال الأسرة بالمظاهر والإنفاق المفرط قد يخلق ضغوطاً مالية داخلها، وهوما يؤدي إلى خلافات وصراعات بين الزوجين، ويؤثر سلباً في استقرار الأبناء وتربيتهم.
 - إشاعة أنماط سلوكية سلبية بين الشباب: الرغبة في تقليد أنماط الاستهلاك المبالغ فيها قد تدفع بعض الشباب إلى ممارسات غير سليمة، مثل الاستدانة أو حتى الانحراف من أجل مجارة أقرانهم، مما يضعف استقامتهم الأخلاقية.
 - تراجع قيم التعاون والتكافل: إن الانغماس في الاستهلاك المظهري يجعل الأفراد أقل اهتماماً بمساعدة الآخرين، وهوما يضعف روح التضامن التي يحتاجها المجتمع، خصوصاً في الأزمات.
 - طمس الهوية الاجتماعية والثقافية: الإفراط في تقليد العادات الاستهلاكية الوافدة يقلل من الاعتزاز بالمنتجات المحلية والقيم الأصيلة، ويؤدي إلى انتشار ثقافة دخيلة تُبعد المجتمع عن خصوصيته وهويته (حسان، 2012).
- ثالثاً: الآثار النفسية:** الاستهلاك السلبي يُفقد الإنسان توازنه النفسي، حيث يُغرقه في القلق، فقدان الرضا، والتبعية للمظاهر، مما يُضعف شخصيته ويحرمه من الطمأنينة التي هي غاية مقصودة في المنهج القرآني.
- القلق والتوتر النفسي: يؤدي الإسراف والمبالغة في الاستهلاك إلى تراكم الديون والعجز عن تلبية الالتزامات المالية، مما يسبب القلق المستمر والخوف من المستقبل. ثم إن "النمط الاستهلاكي المفرط يولد ضغطاً نفسياً متواصلاً نتيجة الركض وراء إشباع الرغبات دون حدود".
 - فقدان الرضا والطمأنينة: الاستهلاك السلبي يُشبع الرغبات المادية مؤقتاً، لكنه لا يُشبع الحاجات الروحية والمعنوية، فيبقى الفرد في حالة فراغ دائم. و"الإفراط في الاستهلاك يضعف الرضا النفسي ويبعد الإنسان عن القناعة التي هي أساس السعادة". (روجر روزنبلات، ترجمة د. ليلي عبد الرزاق، 2011)
 - التبعية النفسية للمظاهر: ينشأ عن الاستهلاك المظهري شعور بالنقص عند عدم القدرة على مجارة الآخرين في الملابس والمركب والمساكن، مما يولد الإحباط والدونية، و"تحويل الاستهلاك إلى وسيلة للتفاخر الاجتماعي يجعل الفرد عبداً للمظاهر، مما يؤدي إلى أزمات نفسية عند العجز عن مسايرة المحيط (الطريفي، 2009).

7. الاستهلاك الرشيد مظهره وآثاره

أ. الاستهلاك الرشيد ومظهره:

- مفهوم الاستهلاك الرشيد: الاستخدام الواعي والمنضبط للموارد المالية، والمادية لما يحقق الحاجة دون إسراف، وبراغي الأولويات، ويوازن بين المصلحة الفردية والعامة، الحاضرة، والمستقبلية.
- مظاهر الاستهلاك الرشيد:
- الاعتدال والوسطية في النفقات: يؤكد القرآن على البعد عن الإسراف والتبذير من جهة، وعن البخل والشح من جهة أخرى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (القرآن الكريم، الفرقان: 67). هذا التوازن ينسجم مع مقصد حفظ المال باعتباره نعمة يجب أن تُستعمل في موضعها الصحيح.

تقديم الضروريات على الكماليات: من سمات الاستهلاك الرشيد البدء بما تقوم به الحياة من مأكّل وملبس ومسكن، ثم الانتقال إلى ما هو حاجي وتحسيني. وهذا الترتيب يراعي مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل والدين، حيث لا يمكن تحقيقها دون إشباع الحاجات الضرورية.

- **الالتزام بالمشروع وتجنب المحرم:** الاستهلاك الرشيد مرتبط بالبعد الشرعي، فلا يصرف المال في المحرمات كالخمر أو القمار أو ما فيه ضرر، عملاً بقوله تعالى: "وَلَا تُؤْثِرُوا السُّهُبَاءَ أَمْوَالَكُمُ" (القرآن الكريم، النساء: 5)، إذ إن المال أداة لإعمار الأرض لا لإفسادها. وهذا يحقق مقصد حفظ الدين والعقل والمال.

- **التوجه نحو الاستهلاك المنتج:** القرآن يدعو إلى ما ينفع الناس: "قَامًا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُثُ فِي الْأَرْضِ" (القرآن الكريم، الرعد: 17). ومن هنا فإن الإنفاق على التعليم، الصحة، والتكوين يُعتبر صورة من صور الاستهلاك الرشيد، لأنه يرفع الكفاءة ويخدم مقصد عمارة الأرض وتحقيق التنمية.

- **الادخار والاستعداد للمستقبل:** قصة يوسف عليه السلام تمثل مثلاً عملياً على ترشيد الاستهلاك بالادخار: "تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ" (القرآن الكريم، يوسف: 47)، هذا يبرز أهمية التخطيط المالي ويخدم مقصد حفظ المال وضمان الاستقرار الاقتصادي.

- **المسؤولية الاجتماعية في الاستهلاك:** الإنفاق الرشيد لا يفصل عن البعد الجماعي، بل يتضمن دعم الفقراء والمساهمة في المصالح العامة، كما قال تعالى: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (القرآن الكريم، الذاريات: 19)، هذا يحقق مقصد التكافل الاجتماعي وحفظ (القحطاني، 2018).

ب. آثار الاستهلاك الإيجابي الرشيد:

- **أولاً: الآثار الاقتصادية للاستهلاك الرشيد:**

- **دعم الاستقرار المالي للفرد والدولة:** يسهم الاستهلاك الرشيد في تقليل الإنفاق غير الضروري، مما يساعد الأفراد على الادخار، ويتيح للدولة توجيه مواردها إلى القطاعات الحيوية بدلاً من معالجة آثار التبذير والإسراف، وترشيد الاستهلاك ركيزة أساسية لتحقيق التوازن المالي في الاقتصاد الإسلامي، حيث يؤدي إلى تقليل المديونية وتعزيز الاستقرار الاقتصادي.

- **تحقيق التنمية المستدامة:** يؤدي ترشيد الاستهلاك إلى توجيه الموارد نحو الإنتاج والاستثمار، بدلاً من إهدارها في الكماليات، مما يعزز النمو الاقتصادي ويحفظ حقوق الأجيال القادمة، "الاستهلاك الرشيد يوازن بين حاجات الحاضر ومتطلبات المستقبل، وهما يشكل قاعدة لتحقيق التنمية المستمرة. كما أن الوعي بالاستهلاك الرشيد يعد من أهم عوامل صيانة الموارد الاقتصادية وضمان استدامتها (الهادي، 2020).

- **ثانياً: الآثار الاجتماعية للاستهلاك الرشيد**

- **تعزيز التكافل والتضامن:** حينما يلتزم الأفراد بالاستهلاك الرشيد، تتوافر لديهم فوائض يمكن توجيهها إلى أعمال الخير والإنفاق الاجتماعي، مما يعزز روح التكافل بين أفراد المجتمع. ويؤكد أن ترشيد الاستهلاك يرسخ مفهوم الوسطية في الإنفاق، ويساعد على مد جسور التضامن والتعاون بين الطبقات الاجتماعية.

- **حماية الأسرة من الأزمات:** الاستهلاك المعتدل يحفظ ميزانية الأسرة من الضغوط المفرطة الناتجة عن الإسراف والتبذير، مما يقيها من الديون والنزاعات المادية التي قد تؤدي إلى تفككها. إذ أن الالتزام بالاعتدال في الاستهلاك يوفر للأسرة استقراراً مالياً ونفسياً، ويجنبها الانحرافات الاقتصادية والاجتماعية (القحطاني، 2018).

- **ثالثاً: الآثار الدينية والأخلاقية:**

- تحقيق مفهوم العبودية والاستخلاف: الاستهلاك المعتدل يعكس التزام المسلم بأوامر الله تعالى في المال، ويجسد مسؤوليته كخليفة في الأرض، فلا يسرف ولا يبذر. قال تعالى: "وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ" (القرين الكريم، الإسراء: 27). (وهذا يوضح أن الترشيده في الاستهلاك مظهر من مظاهر العبودية لله وحسن الاستخلاف) (شابرا محمد عمر ترجمة: عمر بن عبد العزيز التميمي، هيرندن فرجينيا، 1996).
- نيل رضى الله وحصول البركة ودفع البلاء: الالتزام بالاعتدال في الإنفاق سبب لنيل رضى الله تعالى وحلول البركة في المال، كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما نقص مال من صدقة" (رواه مسلم)، فالترشيده يقود إلى استثمار المال في الطاعات، ويجعل من الإنفاق وسيلة لدفع البلاء وجلب الخير (صاكر، 2008).
- تعزيز الانضباط الشرعي في السلوك المالي: الاستهلاك الرشيد يربي المسلم على الالتزام بالضوابط الشرعية في الكسب والإنفاق، ويبعده عن الإسراف والتبذير والإنفاق في الحرام، مما يرسخ خلق الوسطية. يؤكد أحمد الريسوني أن ترشيده الاستهلاك يندرج في باب المقاصد الشرعية لحفظ المال وحسن توجيهه (الشاطبي، 1996).

III. نتائج الدراسة:

- يرشد القرآن الكريم إلى ضوابط استهلاكية شاملة تقوم على الاعتدال والوسطية وتبتعد عن الإفراط والتفريط.
- يعتبر القرآن الاستهلاك انعكاساً للسلوك الإيماني والأخلاقي، إذ يرتبط بمفاهيم الزهد، والتقوى، والمراقبة.
- يحذر القرآن من سلوكيات سلبية مثل الإسراف، التبذير، والتفاخر، باعتبارها سلوكيات تؤدي إلى إفساد النعم وإلحاق الضرر بالمجتمع والبيئة، كما بين القرآن أن ترشيده الاستهلاك جزء من المنهج الإصلاحى الشامل للإسلام، ويرتبط بتحقيق التنمية المستدامة، وقد أظهر التحليل الموضوعي للآيات القرآنية أن المنهج القرآني في الاستهلاك يتصف بالشمول الزماني والمكاني، ويأراعي حاجات الفرد والمجتمع.
- الاستهلاك في منظور القرآن ليس مجرد إشباع للرغبات المادية، إنما هو وسيلة لتحقيق غايات أسمى منها: تحقيق العدل الاجتماعى، وحفظ الموارد من الضياع الذي هو حق للأجيال القادمة.
- الاستهلاك الرشيد ركيزة أساسية في التنمية المستدامة، يساهم في تعزيز الادخار والاستثمار، ورفع من الإنتاج، ورفع كفاءة استخدام الموارد.
- يترتب على الاستهلاك السلبى آثار خطيرة على الاقتصاد منها ارتفاع معدل الفقر والديون وإعاقة التنمية المستدامة.

IV. خاتمة:

كانت هذه الدراسة بمثابة رحلة معرفية عميقة في رحاب القرآن الكريم، مستكشفاً منهجه الفريد في ترشيده الاستهلاك، والذي لا يقتصر على كونه توجيهاً اقتصادياً فحسب، بل هو منظومة متكاملة تجمع بين الأبعاد العقدية والأخلاقية والاجتماعية، ليكون الاستهلاك وسيلة لتحقيق العبودية لله وعمارة الأرض، وليس غاية بحد ذاته. لقد أثبتت الدراسة أن ترشيده الاستهلاك في الفكر الاقتصادي الإسلامى ليس دعوة إلى الزهد المطلق أو الحرمان، بل هو منهج وسطية واعتدال يوازن بين متطلبات الفرد واحتياجات المجتمع، وبين نعم الحاضر وحقوق المستقبل، وقد كشفت النتائج الرئيسية للدراسة عن أن المنهج القرآني يقوم على أسس راسخة تتمثل في الاستخلاف الذي يجعل الإنسان مسؤولاً عن المال الذي أؤتمن عليه، والرعاية الإيمانية التي تضمن الانضباط الذاتى، والوسطية التي تحارب الإسراف والتبذير من جهة، والبخل والتقتير من جهة أخرى، وقد أظهرت الدراسة أن هذا المنهج لا يقتصر على التنظير، بل يقدم وسائل عملية وفعالة لترسيخه،

كالترغيب والترهيب، واستخدام الأسلوب القصصي المؤثر، بالإضافة إلى الوسائل التشريعية والأخلاقية والاجتماعية التي تهدف إلى بناء وعي استهلاكي رشيد، يُعلي من قيمة القناعة والرضا، ويدعم مبدأ التكافل الاجتماعي.

إن الأبعاد الاقتصادية لترشيد الاستهلاك وفق المنظور القرآني عميقة الأثر، حيث تؤدي إلى تنمية مستدامة من خلال توجيه الموارد نحو الاستثمار المنتج بدلاً من إهدارها في الكماليات، كما أنها تساهم في تحقيق الاستقرار المالي للأفراد والدولة، وتقلل من ظواهر اقتصادية سلبية كالتضخم وضعف الادخار، بالإضافة إلى ذلك، فإن الآثار الاجتماعية المترتبة على هذا الترشيح لا تقل أهمية، فهو يعزز التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع، ويقلل من الفجوة بين الطبقات، ويحمي الأسرة من الأزمات المالية، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك وقوي، ومع ذلك، فإن الدراسة لا تخلو من توصيات عملية ومقترحات مستقبلية، فمن الضروري تعزيز الوعي بهذا المنهج القرآني من خلال البرامج التعليمية والإعلامية التي تستهدف الأجيال الشابة، لغرس ثقافة الاستهلاك الرشيد لديهم، كما ينبغي على المؤسسات المالية والاقتصادية الإسلامية تطوير منتجات استهلاكية تتوافق مع هذه المبادئ، وتدعم خيارات المستهلك التي تقوم على الأولويات والاعتدال، علاوة على ذلك، يوصى بإجراء دراسات تحليلية مقارنة بين المنهج القرآني والنظريات الاقتصادية المعاصرة في مجال الاستهلاك، لإبراز نقاط الالتقاء والاختلاف، وإظهار قدرة المنهج الإسلامي على تقديم حلول مستدامة لمشكلات العصر.

وفي الختام، يمكن القول إن منهج القرآن في ترشيد الاستهلاك يمثل إطاراً معرفياً وأخلاقياً شاملاً، قادراً على معالجة التحديات المعاصرة التي يفرضها الاستهلاك المفرط والهدر الاقتصادي، فقد نجحت الدراسة في إثبات أن هذا المنهج ليس مجرد توجيهات فردية، بل هو مشروع حضاري يهدف إلى بناء إنسان واعي ومسؤول، ومجتمع متكافل ومزدهر، واقتصاد قوي ومستدام، وهذا ما يؤكد شمولية القرآن وفاعليته في كل زمان ومكان، ففيه الهداية والرشاد لكل جوانب حياة الإنسان.

V. قائمة المراجع:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.
2. أحمد بن محمد، الفيومي. (1987). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.
3. أحمد ماهر محمود، البقري. (1998). *القيم الخلقية في الإسلام*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
4. أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة - باب في القيامة رقم 2416 وقال: حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الترمذي 289. (بلا تاريخ).
5. الحسين، بن محمد. (1992). *مفردات ألفاظ القرآن*. دمشق: دار القلم.
6. الراغب، الإصفهاني. (2009). *مفردات ألفاظ القرآن*. تركيا: دار القلم الدار الشامية.
7. الشاطبي. (1996). *الريسوني، أحمد. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. سلسلة الرسائل الجامعية (العدد الأول)*. الرباط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416 هـ / 1995م). الرباط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
8. الضويحي، مشاري بن حميد بن عايد. (31 ماي، 2024). ترشيد الاستهلاك وأثره في التنمية: دراسة قرآنية موضوعية. مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية و الاجتماعية (1)، الصفحات 773-799.
9. القرآن الكريم. (الإسراء: 26).
10. القرآن الكريم. (الأعراف: 31).
11. القرآن الكريم. (الأنبياء: 11، 12، 13).
12. القرآن الكريم. (الأنعام: 141).
13. القرآن الكريم. (البقرة: 203).
14. القرآن الكريم. (البقرة: 233).
15. القرآن الكريم. (البقرة: 261).
16. القرآن الكريم. (البقرة: 284).
17. القرآن الكريم. (البقرة: 43).
18. القرآن الكريم. (البقرة: 89).
19. القرآن الكريم. (الحديد: 23).
20. القرآن الكريم. (الحشر: 09).
21. القرآن الكريم. (الذاريات: 19).

22. القرآن الكريم. (الطلاق: 07).
23. القرآن الكريم. (الفرقان: 67).
24. القرآن الكريم. (القصص: 181).
25. القرآن الكريم. (النساء: 5).
26. القرآن الكريم. (هود: 61).
27. القرآن الكريم. (يوسف: 47).
28. القرآن الكريم. (يونس: 7-8).
29. القرآن الكريم. (الإسراء: 100).
30. القرآن الكريم. (الإسراء: 27).
31. القرآن الكريم. (الأعراف: 31).
32. القرآن الكريم. (الأعراف: 37).
33. القرآن الكريم. (الأنفال: 47).
34. القرآن الكريم. (الرعد: 17).
35. القيسي، كمال صاكر. (2008). *ترشيد الاستهلاك في الإسلام*. دبي: كمال صكر القيسي (2008). ترشيد الاستهلاك في الإسلام. دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري. ص. 17-25.
36. إيمان، راتب عبد الحكيم. (2024). *ترشيد الاستهلاك وأثره في حفظ المقاصد الضرورية دراسة مقاصدية تطبيقية*. مجلة الزهراء، الصفحات 3337-3396. doi:10.21608/zjac.2024.423853
37. باسم، أحمد عامر. (2010). *نظرية الإنفاق في ضوء القرآن الكريم رؤية اقتصادية* (المجلد 1). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.
38. بن كثير. (تفسير القرآن العظيم، ج 3 ص 421). *تفسير القرآن العظيم*. تم الاسترداد من surahquran: <https://surahquran.com/tafsir-ibn-kathir/421.html>
39. بن منظور. (1998). *لسان العرب*. بيروت: 196.
40. حسين حامد، حسان. (2012). *مبادئ الاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة*. القاهرة: - (حسين حامد حسان، مبادئ الاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة (القاهرة: كلية الحقوق - جامعة القاهرة، د. ت)، ص 219).
41. حماد، نزيه. (1995). *معجم المصطلحات الاقتصادية* (المجلد 3). الرياض: الدار العالمية الكتاب الإسلامي.
42. داود، الخمار. (2012). *قواعد في اكتساب المال وإنفاقه في القرآن الكريم من خلال التفسير الفقهي المالكية في الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى القرن 8 الهجرية* (المجلد 1). الرباط: دار أبي رقرق.
43. روجر روزنبلات، ترجمة د. ليلى عبد الرازق. (2011). *ثقافة الاستهلاك: الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
44. زايد، إبراهيم عبدالله. (2018). *الإسراف والتبذير في القرآن الكريم والسنة النبوية*. مجلة البحوث الإسلامية (26)، الصفحات 123 - 148. تم الاسترداد من <https://search.mandumah.com/Record/894008>
45. شابرا محمد عمر ترجمة: عمر بن عبد العزيز التميمي، هيرندن فرجينيا. (1996). *شابرا، محمد عمر. الإسلام والتحدي الاقتصادي*. ترجمة: د. عمر بن عبد العزيز التميمي. هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996. ص 88. واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

46. ع، عمارة. (2001). عمارة، ع. (2001). أصول التربية الإسلامية. الرياض: مكتبة الرشد، ص88. الرياض: مكتبة الرشد.
47. عبد الرحمن، إسماعيل، عريقات، حربي. (2004). مفاهيم ونظن اقتصادية (المجلد 1). عمان: دار وائل.
48. عبد الرحمن، بن علي. (2001). زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي.
49. عبد العزيز القحطاني. (2018). الوعي الاستهلاكي وأثره في ترشيد الإنفاق الأسري. المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 45-67.
50. عبد الله بن سليمان، المنيع. (1996). بحوث في الاقتصاد الإسلامي. بيروت: المكتب الإسلامي.
51. عبد الله بن عبد المحسن، الطريفي. (2009). الاقتصاد الإسلامي: أسس ومبادئ وأهداف. الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع.
52. عبد الواحد، عثمان مصطفى. (2006). الاستهلاك الاقتصادي في القرآن الكريم. الاستهلاك الاقتصادي في القرآن الكريم. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الصفحات 1-42.
53. عنبر، محمود هاشم محمود. (31 جانفي ، 2011). الإشراف في ضوء القرآن الكريم : "دراسة قرآنية موضوعية". مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية (1)، الصفحات 371-393. تم الاسترداد من <https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-231372>
54. كامل، القيسي. (2008). ترشيد الاستهلاك في الإسلام. دبي- الإمارات: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.
55. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله. (2007). الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي . بيروت: مؤسسة الرسالة.
56. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين. (2013). القاموس المحيط الحديث. القاهرة: دار الحديث.
57. مصطفى البكري الطيب الشيخ، الهادي. (2020). ترشيد الاستهلاك و أثره في التنمية الاقتصادية : دراسة تأصيلية. المجلة العراقية لبحوث السوق و حماية المستهلك (1)، الصفحات 63-72.
58. وهبة، الزحيلي. (1997). الفقه الاسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر.